

قصة قصيرة

قالت أمه في نفسها.. آه يا ولدي.. هل تراني أقوى يا ولدي
أن أطلب منك إحضار خبز معك؟! لقد ارتفع ثمن الخبز إلى
ثلاثة أضعاف ثمنه تقريباً.. أي قدرة تلك التي تمكّنك من
أبتياح خبز لنا.. راتيك
لك وحدك..»

- تفضل يا ولدي..
- سلمت يدك
يا أمي..

«خبز جاف؟! مقدّد؟! كيف سأكمله
مع هذه اللوبياء؟ عليّ
نقعه في الحساء
«المسبك» اللذيذ حتى
تمثلي مساماته
بالحساء الذي سيعمل
على التخفيف من
قسوته، وتمكن
أضراسي المحشوة
من مضغه وابتلاعه
بسهولة.. كم يعيدني
هذا إلى سنوات
عديدة إلى الوراء..
كان يوماً عظيماً.. يوم
أن ارتفعت سبابتي
على رأس كفي
المقبوض المحمول على
ذراعي ارتفاعاً عالياً،
معلنة قدرتي على
إجابة سؤال الفيزياء،
الخوف من عقابه
الآليم.. الخوف من
نعته لي وطلاب صفي
بالكسالى الأغبياء..
كل هذا لم يمنني من
رفع سبابتي.. أشار

إليّ بعصاه الخيزرانية الرفيعة الملونة الرأس.. وقفت.. رأسي
يعلو ويعلو، جسدي المثنى يمتد على طوله.. «يا أستاذي.. إنما
تنكسر الكأس الزجاجية الثخينة الباردة إذا صب فيها سائل

تلاعب رياح الظهيرة الساخنة قطرات العرق التي تغطّي
جبينه العريض.. يمسحها بمنديل الأبيض.. ويعيده المنديل إلى
أعوام خلت.. عندما يحل السبت.. يحل موعد تفتيش الأظافر

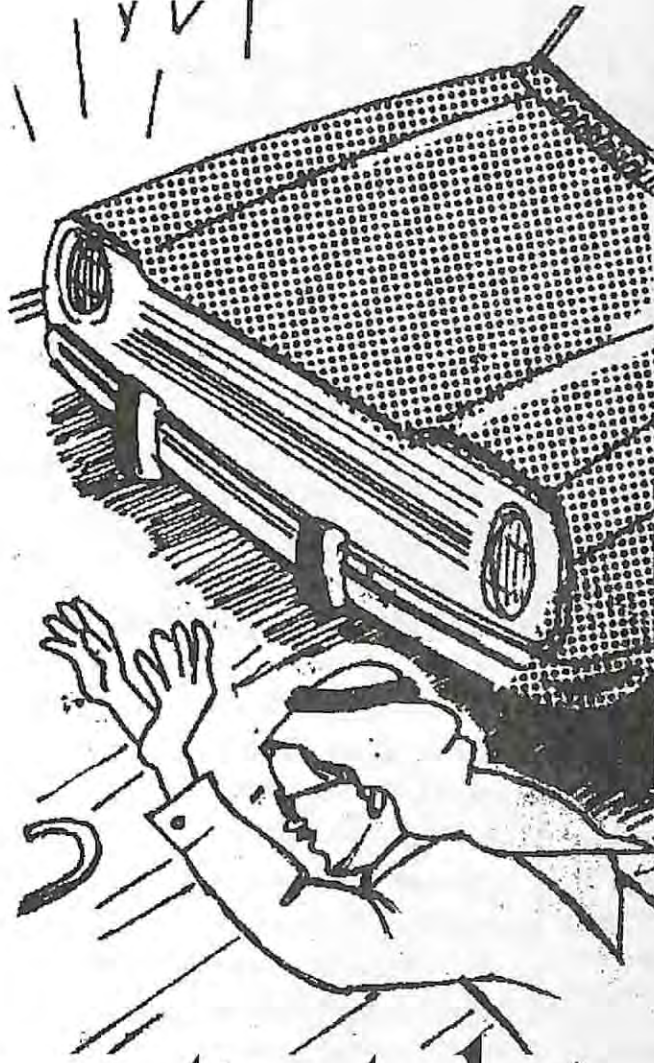
والمناديل.. الزملاء
والرفقاء والفرقاء
يحملون المناديل الورقية
مطوية بعناية.. أو
موضوعة بإهمال جعد
وجهها.. منديل من
القماش.. الخوف من أن
يصبح عرضة لاستهزاء
الزملاء يدفعه لأن
يتظاهر بالنسيان
فيستعير منهم منديلاً
ورقياً يضعه في جيبه..
جاوز الآن الخامسة
والعشرين.. لم تعد
ترهات الصغر هذه
تهمه.. المناديل القماشية
صحيّة.. وتدوم وتدوم
وتدوم إلى أن تهترئ..
ليس مهماً.. وصل الآن
إلى البيت.. أمي.. أمي
السلام عليكم

- أهلاً يا ولدي..
وعليكم السلام ورحمة
الله وبركاته..
- هل الغداء جاهز؟
- نعم..

- ضعي لنا يا أمي..
عليّ العودة إلى عملي
سريعاً.

- يا ولدي.. لا خبز
لدينا في المنزل.. نسيت
أن أطلب منك إحضاره

فطلبت من والدك.. وهو يتأخر في عمله حتى الخامسة..
- والحل؟! عليّ تناول الطعام سريعاً والعودة إلى عملي..
- سأحضر لك الطعام.. لديّ بعض الخبز الجاف..



خواطر ظهيرة

عليه وحصل على معدل ممتاز.. متخطياً بذلك شلله المقيت.. رجل بمعنى الكلمة.. عندما علمت بما حصل له لم أصدق.. بكيت.. دمة حارقة على خدي.. ودمعات كثيرة داخلي أخفيتُها إرضاءً لرجولتي.. لو أن هذا أصاب «فؤاد» لما بكيت عليه.. هو حقود وأنا ناني ومشاكس.. هو وسائد كانا يشكّلان فريقاً ضدي.. يتعمدان مشاكستي كل صباح.. لم يكن في الشيء المميز الذي يدعوهما لذلك.. فلا اجتهد ولا مال ولا شيء.. ربما ضعفي كان ذلك الشيء الوحيد المميز في!! لأدري لماذا أبقى سلبياً دائماً؟ هذا السؤال سألني إياه المرشد الاجتماعي في المدرسة عندما شكوت إليه مالأقبة من رفقائي.. ذلك اليوم الكريه.. يعاب على تلاميذ المدرسة في قانون الطلبة اللجوء إلى المرشد الاجتماعي.. فالطالب يجب أن يكون رجلاً قبل أن يكون طالباً.. ذهبت يومها خفية عنهم.. لكن «سائداً» وهو مثل وكالة رويتر قد أخبر الجميع بهذا.. وتلك فضيحة مابعدا فضيحة.. عمرك سبعة عشر عاماً وتذهب للمرشد.. ربما كان هذا غباءً.. بعدها عمدت إلى أسلوب طلبة صفي.. تشاجرت مع سائد، الذي كان يُسمّى «سائد رويتر» لأنه ينشر الأخبار بسرعة.. ضربته.. نعم ضربته.. ولكنه هو وفؤاد وباقي المجموعة أوسعوني ضرباً.. فغبت أسبوعاً عن المدرسة.. يومي غياب وثلاثة أيام فصلاً تأديبياً مؤقتاً.. رغم ما نعتوني به من السلبية والطفولية إلا أن الحياة القاسية لا تعرف ذلك.. ها أنذا سائق «تاكسي» صغير.. لن يكبر.. حتى لو أصبحت رجلاً إيجابياً!!

علي أن أغسل يدي وأبدل ثيابي بأخرى لم يغسلها العرق الكريه..

- هل تناولت طعامك يا أيمى؟

- نعم يا أُمي..

وسألت على استحياء وباشفاق بعد أن قبلَ يدها:

- هل شبت؟

- الحمد لله.. سأذهب لتبديل ملابسي..

بدلَ ملابسها وهم خارجاً وخاطبَ أمه:

- دعواك يا أُمي..

- وفقك الله ورعاك وفتح عليك ورزقك رزقاً طيباً حاللاً

مباركاً فيه..

- أُمي.. أشعر بمعدتي ممتلئة.. لا بد أن الخبز الجاف قد ربا

في معدتي!!!



ساخن، لأن تمدداً مفاجئاً يصيب السطح الداخلي للكأس، بينما السطح الخارجي لم ترتفع درجة حرارته بعد حتى يتمدد، وذلك لأن ثخونة الكأس قلل من انتقال الحرارة وجعلها تنتقل في زمن أطول.. فيبقى السطح الخارجي على تقلصه والداخلي يتمدد فيزيد حجمه فتتكسر الكأس، أغمض الأستاذ عينيه وهز رأسه كإشارتين على الرضى عن جوابي.. لسانه الذي يلعب أضراسه أكد الأمر.. فكه السفلي مبتعد عن فكه العلوي.. شفتاه مطبقتان على بعضهما على غير راحة.. لسانه هو الذي أحدث ما بفكه وشفتيه.. هذه حركته المعهودة عند تأمله أو تفكيره كم كان يوماً عظيماً.. كسرات الخبز ستعرض لمثل هذا الموقف.. من الخارج ستتمدد ممتلئة بالحساء الشهي.. لكنها من الداخل ستظل صلبة قاسية.. إلا إذا صبرنا حتى ينفذ الحساء إلى الداخل.. علي أن أحضر صحناً أكثر عمقاً.. هذا صحن الخبز أعظم من صحن اللوبياء.. علي مداعبة الخبز الجاف ونقعه بالحساء مراراً حتى ينفذ الحساء إلى داخله فيطريه.. لا بد أنه الآن أصبح أفضل حالاً.. سأسرع بتناوله لأدرك الوقت الذي ينساب من بين عقارب ساعتى المكسورة الزجاج.. مادامت تعمل فأنا محتفظ بها.. ماذا لورأتى أحد طلاب الصف الثاني الثانوي.. هل سيعجبهم حالي هذا وأنا أكل الخبز الجاف؟! آه.. لو أكف عن هذه المقارنات الفظيعة.. لماذا تظل أشباحهم تلاحقني وتنتقدني في أحوالي الخاصة؟ أتخيلهم معي في كل خطوة ينتقدونني ويلقون على تصرفاتي.. لي شاربان يملآن وجهي كدليل على بلوغي السن الذي بإمكانني فيه اختطاط أسلوب حياتي كما أريد.. وحسب إمكاناتي.. فليذهبوا إلى الجحيم هم وتعليقاتهم السخيفة.. كم كان يؤلني هذا.. ومازلت أحمل لهذه الفترة حقداً دفيناً.. سبب لي عقدة نفسية.. ما الذي يرغمني على استمرار ذلك الشعور الذي كنت أحسه كلما وطئت بقدمي أرض الفصل الذي أدرس فيه.. الشعور بأنني حشرة صغيرة.. يمكنهم من التعليق عليّ كما يريدون.. إما لغنى أوجه أو اجتهد أو للاشيء.. الوحيد الذي أحرته من أعماق أعماقي «سعيد» الأول على زملائه في الفصل.. لأنه الوحيد الذي لم يكن يعلق عليّ.. بل يسلم عليّ صباحاً.. ويكفيني خيره/ شره.. مسكين.. توقع الجميع أن يكون الأول على جميع طلبة المملكة في شهادة الثانوية العامة.. لكن الحادثة التي أصابته بالشلل قبل الامتحانات بيومين سببت له عقدة نفسية رهيبية.. سمعت أنها حادثة سيارة.. أصابته وهو عائد إلى البيت وأدت إلى كسر في عموده الفقري وتمزق في حبله الشوكي فأصيب بالشلل.. سمعت أنه تخطى هذه الصعاب ودرس التوجيهي العام الذي